

مدينة مكناس المغربية عبر التاريخ الوسيط



منطقة مسجد لآل عرفة وأحد المساجد الأثرية بالمدينة

د. محمد كمال شبانة



تعتبر مدينة مكناس حالياً خامس مدن المغرب كثافة سكانية^١، إذ تتقدمها الدار البيضاء العاصمة التجارية^٢ والرباط العاصمة الإدارية^٣، ومراكش عاصمة الجنوب^٤، وفاس العاصمة العلمية^٥، وترتفع المدينة عن سطح البحر بمقدار ٥٢٢ متراً، وتقع على هضبة غير مرتفعة كثيراً، وسط أرض زراعية غنية من سهول الساييس، مما يجعلها قرية الشب في هذا من مدينة فاس. وتربح العاصمة الإسماعيلية^٦ في ملتقى طرق شمالية جنوبية (طنجة — ميدلت — تافيلالت) وطرق شرقية غربية (الدار البيضاء — فاس — وجدة) كما تقع على مسافة قريبة من كل من الساحل المحيطي، ومن سلاسل الأطللس الجبلية الوسطى، تلك السلاسل الممتدة من جبال زرهون العالية وتبلغ المسافة بين مكناس والرباط ١٤٠ كيلومتراً، وبينها وبين فاس ٦٠ كيلومتراً.

أنشئت مكاس القديمة على سطح هضبة قرب حافة مشرفة على وادي بوفكران، هذا الوادي الذي يشق المدينة إلى جزأين مختلفين تماماً، فبينما المدينة القديمة الواقعة إلى الغرب ذات الأسوار الضخمة المنيعة المتداخلة بعضها في البعض الآخر، والبالغة طولاً حوالي ٤٠ كيلومتراً إذا بالمدينة الجديدة تقع شرقاً يميزها المعاصر الحديث وتتخلل تلك الأسوار القديمة بوابات هائلة الحجم رائعة المنظر لكن التاسق في عمارتها مفقود، وعلى سبيل المثال «بوابة المصور»^(١٧) المشرفة على فناء (المهديم) فأول ما يستوعى انتباه المشاهد أن أعمدة البوابة المرمية قصيرة، بحيث لا تتسجم مع ضخامة البوابة^(١٨).

إن مكاس الأصل قد بدأت بثلاث قرى، تحمل كل منها اسماً مختلفاً:

أ — مكاسة تازقة، ب — مكاسة الزيتون، ج — تاجرلوت فيما بعد.

فمن الأول يعطى صاحب الروض المنون بقوله: «وذلك أن من قبائل زناتة قبلاً يقال له «مكاسة»، منهم فخلد بنازة شرقاً من مدينة فاس، وبينها سبعة برد، ومنهم فخلدان بهذا الموضع غرباً من مدينة فاس، وبينها نحو ثلاثة برد ونصف برصد»^(١٩).



«آثار في وليلي».

وأما مكناسة الزيتون «فهي ذات الوادي المسمى قديماً بوادي القفل، وعرف من بعد بأبي عمار»^(١١٠) ويعرف حديثاً بأبو فكران، وهو الوادي الذي يحد المدينة وما حوله من الفحص بالمياه الثرة. وأما «ناجرارت» فهي قبائل تاورا التي كانت تغفل صفني وادي القفل الغربية والشرقية. بيد أن اسم «مكناسة» هو الأصل التاريخي للبلدة على أي حال، ثم اختصرت إلى «مكناس»، وتعني التسمية الأصلية مجموعة القبائل الرحل التي قدمت بجبالها وماشيتها من الشرق في القرن الخامس الميلادي والتي وقع نظرها على وادي أبو فكران أثناء سيرها بتلك المناطق فتوقفت حيث ألقت عصا النسيار، ومن ثم شيدت قراها على شطآن هذا الوادي ذي الينابيع المتدفقة، وسرعان ما تمكن رجال القبائل من مكناسة من تحويل هذه المنطقة الخصبة إلى مزارع شاسعة الأرجاء، مترامية الأطراف، وفي ذات الوقت بالتالي تحولوا من رعاة رحل إلى فلاحين مستقرين، قوام معيشتهم الزراعة. وفي مقدمتها الزيتون والفواكه^(١١١) إلى جانب مزروعات أخرى.

ولقد كانت مكناس قبل الفتح الإسلامي مقراً لمجموعات من الكفار والمجوس والنصارى، الذين اتخذوا من مدينة ولبلى عاصمة وكان تخطيطها عبارة عن أحياء متفرقة، كل حي قد تجاور وتدانت منازلها وتتسب تلك الأحياء إلى قاطنينا من القبائل يومئذ، وهي تاورا وبدو عطوش، وبنو برنوس، وبنو شلوش، وبنو موسى، وكل هذه الفئات المتساكنة كانت تتخذ من الضفة الغربية للوادي (أبو فكران) مقاماً لها، إلا تاورا فقد توزعت على صفني الوادي الغربية والشرقية قرب باب اليرادعين^(١١٢) وهناك حي بني زياد الواقع غرب الأحياء المذكورة، فلم يكن على الوادي كمثلها، وإنما لها منه جدول ذو مسافة طويلة صعبة العبور، وبالإضافة إلى عبور أخرى يسقون منها أملاكهم، ولبنى زياد هؤلاء قرية مجاورة كانت تسمى «الأندلس» نسبة إلى من سكنها قديماً من الأندلسيين، الذين تكاثروا وتناسلوا على مر السنين فلم تتغير سحتهم أو ألسنتهم، اللهم إلا من امتزج منهم من أهل البلد، وهؤلاء قلّة فقد كانوا أقرب إلى المكنايين نطقاً وشكلاً، كما كانت لبني زياد كرمات في أرض رمل حمراء قريبة من سكتاهم وكان عيها مثلاً في وفرة المحصول، وجودة النوع.

ومن الأحياء التي كانت قائمة كذلك حينئذ حيان لقبيلة وزريعة (بنو مروان وبنو عصفوم)^(١١٣) ذات الأصل الرومي، وكانوا يقطنون إلى الشرق من وادي أبو فكران، وواديهم يعرف بوادي ويسلن من أودية مكناس^(١١٤) وكانت إقامتهم تمتاز بالهدوء والأمن، بحيث يسكن أهلها الخيام في جنباتهم لا يحشون طارقاً ولا يتوقعونه، اللهم إلا ما كان من كواسر الوحوش كالأسود ونحوها.

هذا وقد كان حي تاورا أقرب الأحياء إلى المدينة، وذلك حتى القرن الثامن الهجري، وكانت



• مكناس •

غراسات هذا الحي متصلة بالديار، كما كانت الأرجاء كثيرة لدى السكان ومعظمها يحتوي على أربعة أحجار. كما كان بهذا الحي حيامان، أحدهما منسوب إلى الزغابشة، والآخر يعرف بنجام أبي الحيار وهي نفس النسبة إلى العين التي يرد منها ماءؤه وهي التي كانت مصدراً كذلك لسقي مزارعات تاورا وغيرها من أملاك الآخرين.

وبروي المؤرخون أن منطقة تاورا كانت تنقسم إلى أحياء صغيرة منها حي بني عيسى على الضفة الغربية من وادي أبو فكران، ويقال إنهم من بني زغوش، وإن كانوا أنفسهم يرجعون نسبهم إلى ولي يسمى «الشيخ عيسى» فيقال فلان بن فلان العيسوي وربما كانوا هم قبيلة عيساوة الذين يتسبون إلى الولي المذكور نفسه، والذي مازال ضريحه قائماً في مكناس قريباً من حبيم، وما زالت أساطم حتى الآن تنفذ إليه في مواسم خاصة، ولا سيما مولد النبي ﷺ وهناك حي آخر من تاورا يقطنه بنو يونس، ويسمى هذا الحي «تاورا القوقية» وبهذا القسم كان يوجد المسجد الجامع وتفصل بين هذين القسمين هضبة عالية يقال لها «الجهدية» وربما كان لارتفاع درجة حرارتها صيفاً عن المعدل دخل في التسمية، وذلك بالنسبة لجو المدينة عموماً والمعروف بالاعتدال كما كان هناك حي ثالث يقال له «فاس الصغيرة» لاختراق الماء له كمدينة فاس، وبالضفة الشرقية من أبو فكران حي رابع يقال له «الجنان الصغيرة» بالإضافة إلى قسم آخر يدعى «بنو أبي نواس» وأخيراً حي «بني زغوش» أو حارة الزغابشة حيث كانت تقطن قبائل بني محمد بن حماد وغيرهم.

وبالجملة فقد كانت مجموعة الأحياء التي ذكرناها كافة من الخصب بمكان، وذلك لكثرة المياه والأشجار وقد كان أهلها مطمئنين في عيش رغد، ونعمة تامة منذ أمراء المسلمين «بنو تاشفين» قاطعت مطامع رؤوس الفائق من بربر المغرب ولم تكن لهذه الأحياء يومئذ أسوار تفحصها غائلة المحتدين، فهي في كتف الوالي الذي كان يسكن عادة في قصر يعرف بقصر ترزكبر، أقام على ربوة شرقاً من بني زياد، وغرباً من وادي أبو فكران إلى الداخل من المدينة، ولم يبق من هذا القصر إلا أطلال أدركتها عصور الإسلام الأولى في المغرب.

مكتاس أبان عصر المرابطين:

استمد المرابطون - تبعاً لسياستهم العسكرية - سنة إحداث القلاع والحصون، التي تأثرت في شتى بقاع المغرب الأقصى والأوسط، وبأطراف الصحراء والأندلس، وكان صاحب هذه الفكرة الحربية أبرز زعمائهم وقوادهم يوسف بن تاشفين، فهو الذي أشار بإنشاء بنايات خاصة لتكون بمثابة مراكز للجيوش ومستودعات للأطعمة والأسلحة وسائر المؤن والدخائر والأثقال^(١٤) ولعل أوضح دليل على ذلك ما روعي في تأسيس مدينة مراكش عاصمة هذه الدولة.

فقد تحدث ابن خلدون عن تلك المدينة بقوله «وجعل يوسف مدينة مراكش لعسكره وللتعمرس بقبائل المصائدة»^(١٥).

وتطبيقاً لهذه المبادئ العسكرية أقيمت مكتاس المرابطية والتي أطلق عليها أول الأمر اسم «تاجرات بالجم القاهرية» لتقوم بوظيفة المحلة يومئذ^(١٦) وهكذا فإن مكتاسة لم تكن بادية ذي بده سوى قلعة عسكرية صرفة.

• البوابة الرئيسية لثمة مكتاس •



ونحن إذا اتجهنا - في هذا الصدد إلى جامع الخطبة والمعروف بمكناش المرابطة بجامع التجارين^(١٨)، اتضح لنا أن الحي الذي أنشئ به كان أسبق الأحياء بالعمران يضاف إلى هذا أن المساحة المحدودة لنفس المسجد تدل هي الأخرى - على أن مجموع السكان حيثئذ كان قليلاً.

وهناك ثلاث عخطط كانت عبارة عن أحياء محدودة قرب الجامع ومتصلة بمنطقته، وهي «حومة جناوة» بالجيم المعقودة وهو نفس «حي الصباغين» الذي كان مسجده يعرف بجامع أجانوة وهذه التسمية ترجع إلى طائفة من السودانيين كانت عبارة عن فرقة في جيش المرابطين، وكانت تسكن في الصباغين، وهؤلاء يشيرون باسم «جناوة»، وقد أورد ذكرهم ابن القطان عندما أشار إلى أحد المواقع الحربية التي غاضها المرابطون، فقال: «ومات فيها من جناوة ثلاثة آلاف أسود»^(١٩).

أما الحي الثاني فيعرف بدرب القتيان، ولفظ «القتيان» هذا كان يطلق على الأسبان المنخرطين في الجيش المرابطي^(٢٠) فالثابت أن طائفة من هؤلاء اتخذت من مدينة مكناش موطناً لها وهم المعروفون في التاريخ بـ«المعاهدون» أولئك الذين حكم عليهم علي بن يوسف بالنفي من الأندلس إلى المغرب، فاستقرت فئة منهم بهذه المدينة^(٢١) حيث تميزوا بسكنى درب القتيان.

وأما الحي الثالث فيعرف بـ«زقة تيربارين» وربما رسمت بعض المؤرخات القديمة الكلمة «أبربارين» وهو تعبير عن جمع المذكر في اللهجة البربرية، وقد يشير إلى حامية ثالثة كانت تستوطن هذه الناحية ويغلب على الظن حيال هذه الأحياء الثلاثة أنها كانت مقراً للعسكريين في المدينة المرابطة وذلك حسبما يتضح من سكان الخطط الثلاث التي تتخذ من حي الصباغين إلى درب القتيان إلى تيربارين.

وهناك قرب حي التجارين «درب القرع» يتجاوره عن يمين الدناخل أطلال قلعة قديمة فيها يبدو وربما كانت مقر الحاكم المرابطي أو جزءاً منه، حيث تتركز الأسبان في تلك المنطقة وحيث ينسب إليهم تحريف كلمة «القلعة» إلى «القرعة» أو «القرع» وهذا شائع عندهم بين الرء واللام.

وكانت الأسواق العسكرية تنتشر قريباً من هذه الأحياء الخاصة، كسوق السلام وملحقاته غرب القلعة وهو الذي عرف من بعد بسوق السرايرية أما بقية الأسواق فكانت تقع في الغرب الشمالي للقلعة وهي التجارين، فالحدادين، فالسغالين (والقزادرية)، فالسارين والثلاثة الأخيرة بأعلى سوق التجارين ولعل من مميزات العمارة المرابطة في مثل هذه الأسواق ما يشاهد في سوق السرايرية بقايا إلى وقت قريب وهو «البئر» في نهاية السوق بالإضافة إلى السقاية القديمة التي اتخذت شكل صهريج

مستطيل وعريض، وما زالت أفواس الصهريج الثلاثة قائمة حتى اليوم مع الأفواس الخمسة الأمامية بيد أن البئر قد حولها بلدة مكناس حديثاً إلى دورات مياه عامة ويستتج من هذا أن الصهريج كان في بداية الأمر «خطارة» تحتوي ماء الأمطار في السقي والشرب وذلك قبل أن يغطي بسقف الجامع من بعده، وبما يقرب هذا الاستنتاج أن قلعة مكناس في عهدها المرابطي - كانت لا تزال غير مجهزة بالدور المائية، وإنما بالآبار وربما بماء المطر أو العيون، وكذلك ربما كان للتشابه الملحوظ بين سوق السرايرية وأسواق مراکش أثر واضح في تأييد نظرية إرجاع نوعية هذه الأسواق إلى مكناس المرابطية وذلك بالنسبة لانتساع مساحة الأسواق في كل منها وهندسة الحوائط ومنظر السقاية بصفة خاصة.

ولقد كان من الطبيعي أن يتركز السكان المدنيون إلى جوار القطاع العسكري المرابطي يومئذ بالمدينة، وهذا ما عناه الإدريسي حين تحدث عن مكناس في عهد المرابطين إذ قال: «ولم يكن في أيام الملثم - بعد تآكرات - أعمر قطراً من بني زياد»^(٢٢) وحي بني زياد واحد من عدة أحياء عمرت بها المنطقة في هذا العهد، وكلها كادت تجاور المناطق العسكرية متصلة بها في أكثر من ناحية، وعليه فإن الأحياء المعروفة اليوم بـ «التونة» و«الكدية»، و«براكّة» و«ظهر المسجدة» تعتبر من المناطق القديمة السكنية هذا بالإضافة إلى الأسواق العامة القديمة، وكذا المساجد الصغرى المنتشرة في هذه الأحياء عموماً، ومنها على سبيل المثال مسجد براكة^(٢٣) ومسجد الحشايش^(٢٤) المعروف بمسجد رحبة الزرع القديمة.

ويذهب الأستاذ الثنوي المكناسي في التدليل على أقدمية تلك الأحياء التي ترجع إلى عهد المرابطين - بثلاثة ملامح تاريخية^(٢٥).

أولاً: تسمية حمام الكدية بـ «الحمام البالي» بمعنى القديم، وهو الذي صار يعرف بـ «حمام مولاي عبدالله بن أحمد».

ثانياً: تغير هندسة الأسواق بعد سوق التجارين حيث تضيق أزقتها بدلاً من الانتساع الواقع في سوق التجارين وما تحته إلى سوق السرايرية، مما يدل على أن توسع المدينة سار على غير التخطيط مدروس، شأن أكثر المدن المؤسسة في العصور الوسيطة.

ثالثاً: وفرة المساجد الصغرى في هذا القطاع، وهو تقليد مرابطي وضع أسسه يوسف بن تاشفين ويقول ابن أبي زرع عن أعماله لما دخل مدينة فاس:

وأمر بينان المساجد في أحوارها وأزقتها وشوارعها، وأي زقاق لم يجد فيه مسجداً عاقب أهله،



• منظر عام في مكناس •

• بوابة في مكناس •

وأجبرهم على بناء مسجد فيه، وكان هذا صدر عن يوسف بن تاشفين بالنسبة لفاس، فإن سياسة الذين خلفوه من بعده ستعمل لتحقيق ذلك بالنسبة لمكناس بعد ما تسارع الناس إلى غاراتها.

ونستنتج من هذا النص من زاوية أخرى مدى الاهتمام الذي كان يوليه حكام المرابطين للتأحية الدينية في شرق مملكتهم وغربها ولا غرو فذلك طبيعة المبادئ التي قامت عليها - سياستهم بادية ذي بدء، وعليه فإن المساجد في مدينة تاجراوت كما في غيرها قد نالت تقديرهم بإقامة الصلوات والعناية بذكر الله، ونشر كتابه الكريم، والعمل على تغذية السكان في أمور دينهم ودنياهم وهكذا كان الطابع العلمي للمدينة كما كان في غيرها.

وبالنسبة للأسوار فنستطيع أن نقرر أن تاجراوت لم تكن مسورة في بادئ الأمر ثم سورت من بعد إنشائها بفترة، اعتماداً على السياسة المرابطية يومئذ، والتي كانت تقضي بالبناء للمدن العسكرية أولاً دون تسوير، ثم لما حزم الأمر بظهور دعوة الموحدين اضطرو المرابطون إلى إقامة الأسوار في المدن ولا سيما بالعاصمة مراكش، فقد ذكر ابن أبي زرع أن بناء أسوارها لم يحدث إلا بعد مضي حوالي سبعين عاماً من تاريخ إنشائها وهو عام ٤٥٤هـ، ويعقب صاحب القرطاس على ذلك بقوله «ولم تزل كذلك الأسوار لها، فلما ولي بعده ولده علي بن سورها. وذلك في سنة ست وعشرين وخمسمائة» (٢١).

أما فيما يتصل بأسوار مكناسة فتصور أنها أقيمت على مراحل على أيدي المرابطين، حتى إذا ما صارت إلى ما صارت إليه من الضخامة والطول رأينا الأبراج السامقة تتخللها. فمنها على سبيل المثال -

ما أشار إليه المؤرخون - برج ليلة^(٢٧) الذي عرف بعد بيرج الأنقاط^(٢٨)، والواقع غرب المدينة، وكان محله قبل أن يدرس على نفس أرض المسجد المعلق فوق سياط سوق زعبول^(٢٩) وبالإضافة إلى هذا البرج كشف علماء الآثار بالمدينة عن عدة تحصينات أخرى المدينة، لعل أهمها ذلك التحصين الذي كان يقوم عند باب قورجه، وهو أحد أبواب المدينة غرب مسجد شافية من حي روي مزيل^(٣٠)، مستغلين من كلمة «قورجة» على ذات التحصين إذ أنها كلمة أسبانية تعني طريقاً بين سورين، وتتصل ببحر أو نهر، بغية أن يتمكن المحصورون من داخل الأسوار من بلوغ مكان الماء لا سيما إذا اشتد الحصار ونفذ احتياطيهم منه^(٣١).

هذا، ولم تبق من تلك الأسوار المرابطة في مجموعها سوى أنقاض أو قطع متفرقة جهة الجنوب أو الشمال، ففي الجنوب مثلاً نجد الجدار العربي المستطيل الممتد خلف شارع السكاكين، ماراً بشارع الحمامصة، ثم يواصل امتداده حتى جنوب سوق السرايرية حتى يبلغ باب الحديد، وحيث يبدأ السور الإسماعيلي الذي يتخذ مساراً متعرجاً إلى غرب المدينة، فقد ثبت أن السور المرابطي قد أصابه تعديل من ناحيتين في عهد الملوك إسماعيل «السور الشرقي في بدء موضعه من القصبة الإسماعيلية والسور الغربي أضيف موقعه إلى الزيادة الإسماعيلية الواقعة في غرب المدينة عند جناح الأمان وما إليه»^(٣٢).

أما ما تبقى من السور الشمالي فيقع قرب حمام البرادعين، ماراً خلف مشهد سيدي مغيث مدرب سبع لويات، إلى فران التواله، ومن هذا المكان ينعرج السور خلف دروب قاع وردة، ثم يخفي قليلاً ليظهر أثره قرب باب مسجد حماموش، وعندئذ يتدثر سور المرابطين نهائياً.

وفيما يتصل بأبواب المدينة الأثرية يتحدث صاحب «الروض المختون» عنها فيقول: «وللمدينة ستة أبواب: باب البرادعين، وباب المشاورين، وباب عيسى، وباب القلعة، وكان يسمى بهذا الاسم قبل أن تبني هنالك القصبة على ما يظهر من كلام بعضهم، والله تعالى أعلم، وباب أفورج، وباب دردورة، وربما قيل له باب الصفا»^(٣٣).

ويروي ابن زيدان في «تحاف أعلام الناس» تعليقاً لبعض المؤرخين حيال هذه الأبواب الستة وما أصابها عقب التعديلات التي حدثت فيها على العهد الإسماعيلي، فيذكر بشأنها قوله:

«كل باب من هذه الأبواب تغير عن حاله، أما باب البرادعين فقد أدركناه على خمسة أقواس تحيط به أبراج كثيرة، فهدم في سنة سبع وتسعين أو ثمانية، وزحلق لناحية الجوف، وبني على ثمانية عشر قوساً محدقة بصحن فسيح...»

وأما «باب المشاورين» فقد هدم - أيضاً - لقريب من هذا العهد، وبني ورائه غرباً باب يسمى «باب بريجة» بتشديد الراء المكسورة.

وأما «باب عيسى» فقد هدم قبل هذا التاريخ، وزيد في القصة، وموضعه الآن بين باب سعيد - بكسر ياء مشددة - وصريح سيدي عبد الرحمن المجدوب.

وأما «باب القلعة» فقد هدم وزيد في القصة، وموضعه - الآن - قريب من باب العنوج.

وأما «باب فورجة» فقد هدم وزيد في القصة، وبني - جنوباً منه - باب يسمى باب عبد الرزاق.

وأما «باب دردورة» فقد هدم ولم يبق، وموضعه - الآن - يعرف باب ترمي... (٣٤).

مكناش أيام عهد الموحدين:

يذكر المؤرخون في صدد أول غارة شنها الموحدون على مكناش، أن والي المدينة يومئذ بدر بن ولكوط «قد جمع أغنياء الناس ووجهاءهم داخل المدينة، كما جلب ونقل إليها العديد من الأقوات، أما عامة الناس فقد بقوا في مواضعهم فكان من عادة سكان المدينة أن يجتمعوا في سوق يقال له «سوق الغبار» إزاء قصر ترزكين، وحيث يقد إليه أهل الحصن والأحياء المجاورة يوم الأحد من كل أسبوع، فبينما هم يوم أحد قد اجتمعوا وكمثلوا بالسوق المذكورة وهي بأرض مرتفعة - إذ أشرفوا على خيل مقبلة إليهم في زي المرابطين الثمن والغنائم الفرمزية والمهاميز التاشفينية، والسيوف المخلاة، والعائم ذات الذؤابات، فلما رأى القوم هذا الزي قالوا تقوية السلطان جأشنا. وسارعوا للقائهم فرحين بهم، وهبطوا عن آخرهم، فلما خرجوا على منح القصر والسوق حسر الفرسان الثمن، ونادوا: يا المهدي وكان ذلك شعارهم، وأجالوا السيوف عليهم، ولم ينبج واحد منهم فيها ذكر، وكانوا آلافاً رحمهم الله ومازال الناس - هذا العهد - يتحدثون أن المقابر التي عند باب مسجد السوق القديم هي مقابر شهداء (٣٥) فمن ذلك الحين والموحدون لا تنفك هجاتهم على مكناش، فيقتلون الرجال، ويسبون النساء والأطفال، ويستبيحون الأموال «حتى ضاق الناس ذرعاً بكثرة الوقائع عليهم» فقد كان هؤلاء الموحدون يقاتلون يومئذ يدافع من عقيدة غاية في الإفراط عصبية، فالتاس في نظرهم - مجسمين، ومن ثم فيجب قتالهم بينا الناس يسموئهم «الخوارج».

وتبعاً لرواية ابن خلدون - بهذه المناسبة - في كتابه «العبر» ونقلها ابن غازي الكناشي أن عبد المؤمن لما تم له الاستيلاء على فاس - أرسل بعض قواده ليحاصروا مكناش، وانصرف هو إلى حضرته

مراكش، فتدد هؤلاء الحصار سبي وأشهر حتى قيل إن ذلك استمر أربعاً أو سبعمائة في بعض الروايات، وهكذا اضطرت القراطين إلى حفر الخنادق حول المدينة مالمعه في الدفاع عني ولصد الموحدين بيد أن أصحاب الدعوة الحديدة قد دافع صيتهم، والقبائل ترد إليهم أفواجا، والفتوح تزداد عليهم وسكان المدن يهبطون في اتجاههم مبايعين. وبذلك استنهد الموحدون حصن مكاسة، وأرسل عبد المؤمن الموحدي أحد رفاقه المخلصين ليقوم بنفسه على وسائل حصار هذه المدينة، ويبا هو كذلك على أبواب الأسوار. إذ فتح أحدها وبعد منه عشرة من العرشا مكاسة فجدة، وأعملو سيوفهم في جيش الموحدين بمنة وبسرة، حتى أشاعوا فيه الفوضى، ودلوا منه بلاء عظيمًا. ولكن الفريجة لم تتحقق لأحد من الطرفين، سوى أن الحصار طال أمده، حتى عبت الأقوات، وهلك كثير من الناس جوعًا، مما اضطرت جيش القراطين في مكاسة إلى التسليم طوعاً وعوة، وهرب في نفس الوقت - عامل المدينة بدر بن ونكوته هو وحسنون من العرشا، وترك مدينته بها للهلاك، ودخل الموحدون المدينة فسكنوا الدماء وسوا الباء والندرية. واستباحوا الأموال، وعمدوا على ذلك يوماً كاملاً، وبأدى ماديهم في آخر النهار رفع السيف، وعظم اللاء في ذلك اليوم على الناس، وكان ذلك في أول عام خمسة وأربعين وخمسةائة (٣٧١).

وهكذا أصيب الاقتصاد بالمدينة في الضميمة. وراود الأمر سوءاً حلاء بعض السكان عن اللد بحث رعدوا في المقام با تحت وطأة آثار القتال. أما من بقي من الناس فقد اضطرت تحت ظروف الاقتصاد السيء - إلى أن يشتغل البعض منهم في أملاك أعين الموحدين تلك الأموال التي استولى عليها هؤلاء أثر العرو. ولا سيما في الأراضي التي أصبحت ملكاً حقيقياً لعزاه الموحدين بحيث كان يشتم على فلاحي تلك الأراضي أن يقدموا للمستولين نصف الفواكه الصيفية والخريفية، وبالسبة لمرينون عليهم أن يقدموا إليهم ثلث غلته (٣٧٢).

ونتيجة لتلك السياسة المستعنة فقد استطلت أيدي الطغام العديد على حقوق الرعية، فأصاب الناس (٣٧٣) في المدينة من ذلك عنت وإرهاق واستمر الوضع بالسبة لاستغلال الأراضي هكذا مدة، حتى صبح الملاحون، وتركوا الأرض لموار، الأمر الذي أقلق باب المسؤولين من رحلات الموحدين في مكاسة، ونحت صعلط الإصرار الذي شل حركة الاقتصاد خاصة في الزراعة، اضطرت رحا السبعة إلى انتحار مسلك التخميف في الصراش عن الماصيل. فأقبل الملاحون من جديد على الررعة، وامتدت بذلك العراشات في الأحياء. وعمم الخمر سادت المدينة وأحوارها وبغت الأسواق، وأصبحت مكاسة بأسواقها قلة لتبحار يقدمون إليهم من كافة الأندلس.

فإذا ما انتقلنا إلى المرافق العامة لمكتبة الموحدية لاحظنا أن الملامح الحصارية قد شملت أكثر من مرفق منها يتصل «الحمامات» يرى أن المدينة قد اشتملت على أربع حمامات. نعتاً لرواية ابن عاري الأول. وقد كان يطلق عليه «الحمام الدي» وهو حمام المولى عبدالله بن حمد في حي الكدية، ويعتبر الأستاذ المتولي كونه «مرافق التأسيس» ولا مانع من قول هذا الافتراض على أساس أن يكون هذا الحمام قد حظي بتعديلات مازرة النعمان في عهد الموحدين^(١٢)

الثاني: حمام الخدييد، وهو الواقع في الحي المنسوب إليه

لثالث: الحمام الصغير، ولم يحدد ابن عاري موقعه بالضبط في المدينة^(١٣)

الرابع: حمام الفوش، ويقع قرب مؤخرة حي سبدي أحمد بن حصراء، أسفل درب الوسعة محاوراً للفرن^(١٤).

ومن اسم هذا الحمام الأخير يستنتج أنه من بناء أمير أساني. أنشأ لخدمة الطائفة الأسانية التي كانت تقيم بمدينة يومئذ. ثم صار حماماً عاماً كبيره. ربما بعد إنشائه. كذلك يقول ابن عاري في صدد هذا الحمام «وله (للأمير الأساني) في إحدث هذا الحمام مناقب اشتهرت عنه من إرضائه أصحاب الديار التي اشتهر لذلك في أنماها وغير ذلك^(١٥) وقد اندثر - الآن - أثر هذا الحمام. وشيدت مكانه بناية حديثة، ويعود بناؤه إلى عام ٧٢٠هـ^(١٦).

ومن الملامح الحصارية بعد الحمامات التي كانت تقام قرباً للمسجد الأعظم، وبعض المرافق لإدارية والاقتصادية كمحكمة القاضي ومكتب الختسب، وسائط الشهود الذي كان على هيئة دكاكين من الخشب تحت المدينة اللالية وعلى امتدادها. ويذكر بعض المؤرخون أن تلك الحوائط قد دعت في فترة متأخرة بعض الوقت - إحدى وعشرين حائوتاً^(١٧)

أما محكمة القاضي فكان مقرها متصلاً باب الجامع الثالث من ناحية المدينة القبالية وللصلة الملحوظة بينها وبين المسجد أثر واضح في إنشائها بخواره^(١٨) ومن جهة أخرى فقد بلغت المساجد في هذا العهد أربعاً مائة مسجد^(١٩).

ومن معالم الموحدية الشهيرة في مكتبة «درب تربيعة» وكان يقع قرب الجامع العتيق ولما كانت كلمة «تربيعة» كلمة ربابية وتنتهي «الحمامة» فيجب على القارئ أن هذا الدرب كانت تقطعه بعض الحماميات الموحدية. نعتاً للإشارة المراكشي في قوله:

وأصاب هؤلاء القوم لمسجد الجماعة خلق من قبائلهم، فعزلوا منهم، وسبوا إليهم^(١٧) فقد صارت الكعبة الحرة والجماعة معروفة في العهد الموحدى بأنها تعي وحدة عسكرية تصاعف عددها مع مرور الأيام.

هذا وكانت للمدينة حيث ستة أبواب: باب البرادعبي، وباب المشاورين وباب القفعة وباب أغورج، وباب دردورة، وكان يقال لهذا الأخير «باب الصدا»^(١٨)

أما بوابها فقد كانت سبعة ردهود، وبوكلثوم، وبنو نسيك، وبوغاصة، وبو دون، وباب أركان، وبو أني السمع.

هكذا كانت مكاسة وأحوارها ذات عمران، متمتعة بالأمان على العهد الموحدى، إلى أن أساء الحال استقلال سلطانهم، وأصاب الناس منهم أو سبهم جور عظيم في آخريات هذا العصر، وشتد هذا الأمر منذ وقعة العقاب المشهورة (١٥ صفر - ٦٠٩هـ) (١٦ يوليو ١٢١٢م) والتي اعتبرت بدورها نذيراً بقرب سقوط الدولة الموحدية، بحيث لم تقم لها قائمة بعدها^(١٩)

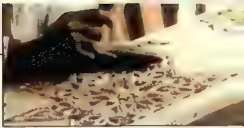
مكاسة في عهد بني مرين^(٢٠) والوطاسين:

لقد ظهر أمر المرينيين في المغرب عندما ضعف أمر الموحديين وشووا الغارات على البلاد وفي هذه الأثناء قام علي بن أبي العافية بثورة ضد عامل الموحديين بمكاسة، وسهل بذلك لبني مرين دخول المدينة، بيد أن الموحديين جمعوا شتاتهم، وتمككوا من الاستيلاء على مكاسة من جديد فكان أن اعتصم ابن أبي العافية بمحل ردهود فترة من الوقت، واستمر الحال كذلك حتى استجمع المرينيون قواهم، واستولوا على سائر مكاسة ثم دخلوا المدينة مرة أخرى ويروى ابن خلدون في هذا الصدد أن أمير بني مرين أمر أهل مكاسة حينئذ أن يوجهوا بيعتهم إلى الخفصى سلطان تونس، فوجهوها إليه، وكانت من إثناء قاصيهم أبي الخطرف ابن عميرة^(٢١).

وقد يدل المرينيون جهوداً صحيحة في سبيل النهوض بدينه مكاسة، ودهود السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني (٦٥٦ - ٦٨٥هـ) يأمر ساء قصبة مكاسة عام ٦٧٤هـ، كما أنشأ بها مدرسة لشيرو^(٢٢)، ويقال لها «مدرسة القاصي» نسبة إلى القاصي أبي علي الحسن بن عطية الموشريشي، الذي كان يخصص حلل أوقاته للتدريس بها^(٢٣) كما قام السلطان أبو الحسن علي بن عثمان المريني (٧٣١ - ٧٥٢هـ) ببناء عدة مرافق - منورة - في المدينة، كراوية القورحة^(٢٤)، وراوية



الصناعات الخطيفية في مكناس



باب المشاورين^(٥٥) وغيرها من السقايات والقناطر في طرقها. كما أنشأ المدرسة الحديدية^(٥٦) التي عهد في منائها إلى قاصبه بمكاسة يومئذ أبي محمد بن عبد الله بن أبي العمر وافتتحها السلطان المذكور بنفسه ولما ولي بعده ابنه أبو عثمان (٧٤٩ - ٧٥٩هـ) تابع عناية بها. وراقب أحوالها بشخصه. فمن ذلك أنه أمر بالاعتصار على عشرة من الشهود بها واسمى عن الثاني وكان ممن أبى عليهم من هؤلاء الشيخ أبو الحسن بن عطية الزشري فشق هذا الإجراء على بعض الشهود المعمول لخيانة من بن عطية، الأمر الذي حدا بهذا القاضي إلى أن يشيء رجلاً بهذه المسألة ويرصه إلى أبي عثمان، وفيه يقول

يا أيها الخطيفة الظفر دونك أصوري إنه مفسر
عبدكم نجل عطية الحسن قد قيل لا يهتان إلا أن أمر
وهو في أمركم المعهود من جملة السعرة الشهود
نص عليه أمركم تعيننا وسنة قارب أوبعينا
مع الذي ينتب العبد إليه من طلب العلم ويحسه عليه^(٥٧)

هذا، وقد عمت الحفريات والتزوات مكان مكاسة وأحواها أبان العهد المروي وانتشرت العرصات والجناح حول المدينة، وكانت المداشر محدقة بها من كل جانب. كل مدشر بمراعه وعرساته ومراعيه. وكانت أشجار الزيتون بهذا البلد مصرت المثل كما وكيفا، ومارات حتى انصهر الحديث خفاقة اللواء في هذا الميدان.

لقد استمرت مكاسة في أطراد وعمو، وازدهار مميثة في ذلك العصر، حتى ثار بها الشيخ اللحياني الزرتاجي، وانتشر أمره بها، وحاصرها حصاراً شديداً. ووكل إلى قائده أيوب بن يعقوب الشجاع أمر حصاعها لسطونه. وبهذا ملكها اللحياني عمراً من عشرين سنة في العقد الثالث والرابع من القرن التاسع الهجري (الثامن عشر الميلادي) بيد أن رد الفعل لهذه الفتنة كان سيئاً بالسنة لخبراتها خاصة. فقد هلكت معظم المحاصيل ولا سيما عرساتها وأشجار الزيتون بها. ولم تهص من كوتها إلا معد أن قبض الله للبلاد دخول الأمير الوطاسي أبي زكريا^(٥٨)، الذي شتهر بميله الدينية

وجه للبر والإحسان، وتصافه بكرم الأخلاق فأخذ على عاتقه رعاية مكناش وأهلها، وأولادهم عابة فائقة.

كما أحس إلى المخطئين، فتجاوز عن سيئاتهم، بأن ألغى العقوبات التي سبق توقيعها عليهم، ولي الميدان الاجتماعي قم تجديد بعض الرسوم الدارسة والأطلال النائدة، عاية منه تاريخ المدينة، كما أثبت بحاصها «الكبير المجلس المسمى «الأسبوع» حيث يجتمع به القراء لتلاوة القرآن الكريم كل أسبوع وأمر بتحويل «باب الحفافة» إلى قرب «دار الوضوء الكبرى». حيث رأى ذلك أنسب من «الباب الحوي» ونم ما أشار به الأمير في حبه وحلى نحو ما أراد.

ويذكر «ابن عاري» أن الأمير الوعاسي ألقى بالحوب الشرقي من الجامع محلاً عاماً وأحدثه فوق سباط الأسبوع المعروف، وترجع تلك التسمية إلى أن دابة كان قد أسسه ليصبح مجتمعاً للقراء الذين يرتلون به كل يوم سباً واحداً من القرآن الكريم، فيحتموه مرة كل أسبوع، وذلك على عهد ما هو متبع في بعض نظراء هذا الجامع، كمسجد القرويين والجامع الكبير في «س. الجديدة»^(١٩).

مكناش في العصر الإسماعيلي:

أخذ المولى إسماعيل مدينة مكناش عاصمة لملكه في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي (١٦٧٢ - ١٧٢٧م) فإنه تسب «العاصمة الإسماعيلية» التي جعلها مركزاً لحفوده حيث أقطعهم الأراضي الواسعة حولها، لاستغلالها من عيرانها دون أن يكون لهم حق امتلاكها. وكان هؤلاء الحنف يلفون حوالي ٥٠ ألفاً، جلبهم من أواسط أفريقيا، بحيث يمكن بهذه القوة في ظل هذه الشخصية القلدة أن يتم المغرب في عهده بالحدود

وقد أضاف هذا السلطان العظيم إلى هذه المدينة مكناشاً جديدة تليق بطموحه، بأن بني فيها القصور والمساجد، وخرس الحدائق والبساتين، كما أحاطها بسور يبلغ طوله أربعين كيلومتراً، تتخلله البوابات الضخمة المائلة، كبوابة المصور، والبرادعين (بردعين) ونسبا، والخميس وغيرها

وإذا ما عرفنا أن فترة حكم المولى إسماعيل قد طالت حتى بلغت ثلاثة وخمسين عاماً فإن فترة الاستقرار الفعلي في الداخل، والأمن للدولة من الأطماع الخارجية لم تتجاوز عشرين عاماً أما باقي أيامه فقد كانت حرواً في كل الجهات، مع البرتغاليين والأسبان في الغرب ومع الإنجليز في الشمال عند طحفة، ومع الأتراك في الشرق عند حدود الخرتر، ومع القبائل الصحابية البربرية المتمردة في

الجنوب بيد أن تلك الحروب التي حاصها في الداخل ضد الثمرديين أو ضد العراة الواعدين من الخارج قد قبض له فيها الطمر حتى استتب السلام وأصبحت مكناش جوهرة المغرب حقاً، فمن مظاهر ذلك أن المولى إسماعيل رأى المدينة تبعد عن البحر بحوالي ١٤٠ كيلومتراً فعتق ذهنه عن وسيلة تعوصها هذا الجبل الساحلي فأنشأ فيها حصصاً هائللاً بشه نظيره «حصص الأجدال» في مراكش، لتجميع مياه العيون والأمطار ومازال هذا الحصص باقياً إلى يومنا هذا تروى مياهه مزروعات «حدائق السلطان» على مر العام^(٩٠).

ومن مشات السلطان إسماعيل إحداته كذلك عذباً لللال، وقد عرس فوق الهرن حديقة غاية في الإتقان والروعة، فهي تضم عدداً من الأشجار كالتين والريون وغيرها. كما أنشئ بحوار هذا الهرن اصطلاً هائللاً يتسع لحوالي اثني عشر ألفاً من الخيل، ومازالت أملاله ماثلة للعيان حتى اليوم كما أنشئ تحت الأرض من هذه المدينة الملكية كهماً هائللاً يروي بعض المؤرخين أنه حش فيه خمسة وعشرين ألفاً من الأسرى الأوربيين ونحو عشرين ألفاً من المارقين والخارجين على القانون ولاسيما الهرمين وقطاع الطريق.

وهكذا نرى أن تلك الآثار المهيبة، والحدائق الباقية حتى الآن دليلٌ واضحٌ على مبلغ العظمة والمجد اللذين نعتها مكناش في عصر المولى إسماعيل باعت هبتها كما تحذر الإشارة إلى أن هذا العمران لم يكن قصراً على مكناش العاصمة وحدها، بل شمل المملكة عامة، فقد روى أن المغرب يومئذ كان يضم ما يقرب من مائتين وخمسين مدينة، يقطع كلاً منها أكثر من ثلاثين ألف سمة، تطلها السكينة، ويسودها الهدوء والاستقرار، وتتم بالعيش الرعيد.

لقد كانت مكناش تدعى «المدينة الملكية»، وحق لها هذا الشرف أن تحصى به من ثلاث مدن مغربية أخرى هي على الترتيب: مراكش، وفاس، والرباط، وذلك بفضل المولى إسماعيل الذي حياها بأن تكون العاصمة في عهده طيلة الخمسين عاماً التي حكم خلالها المملكة (١٦٧٣ - ١٧٢٦م).

ويؤلف المولى إسماعيل خرجت مكناش من دائرة الضوء، وراحت تعطي في سبات هادي عميق تحت ظلال جبال ردهون العالية، التي هي جزء من جبال أطلس الوسطى^(٩١) وصلت هكذا منذ بداية القرن التاسع عشر حتى جاء المولى الحسن الذي أولاهها عناية بتجهيزها حماماً على مائها من مائر حائلة، تجمع بين عظمة الآثار ودقة الإبداع.



• سرح حصان •



• فارس مغربي •

طائفة من مشاهير علمائنا:

لقد وسعت مدينة مكناس طوائف من مشاهير العلماء على العصور التي توالى عليها وكان لحكام المغرب على اختلافهم فضل نشر العلم والثقافة بين ربوع المغرب عموماً، وفي المدن التي حظيت بتأثيرهم ولاسيما العواصم مثل فاس- مكناس- مراكش

لقد كان مكناس من مشاهير العلماء والكتّاب والأدباء أعداد كبيرة، نذكر منهم:

١ - العالم العلامة الشيخ/ أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل بن الصباغ رحمه الله تعالى، وقد تحدث عنه جده أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه «المستد الصحيح الحسن في ذكر مناقب أبي الحسن» الذي صنّفه في تاريخ السلطان أبي الحسن الرضي. كما تحدث عن هذا الفقيه ابن خلدون في كتابه «العبر» كما ترجم له لسان الدين بن الخطيب السبائي في بعض فهارسه، وكان من كبار العلماء الذين اصطحبهم معه هذا السلطان ضمن مجموعة من نظرائه في حركته البحرية إلى إفريقيا، ومات رحمه الله غريقاً في هذه الرحلة مع غيره من العلماء^(١٢).

٢ - الشيخ/ الفقيه القاضي أبو محمد عبد الحق بن سعيد بن محمد، له باع في المعرفة والبلاغة^(١٣)

٣ - الفقيه العدل/ أبو علي الحسن بن عثمان بن عطية التيجاني المكناسي، من أعلم أهل زمانه

بالحساب، وعلم الفرائض، إلى اهتمام بالغ بطولم الفقه، كما أن له شعراً كان يقره^(٦٦)

٤ - الشيخ الفقيه الأديب الراوية/ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي. كاتب شاعر، مشارك في بعض فنون العلم وهو أحد شيوخ لسان الدين بن الخطيب وقد تحدث عنه في كتابه «نفاضة الحجاب»، ضمن من قفيهم مكناس في جردته بالمغرب^(٦٧)

ومهم القاضي الشيخ الفقيه/ أبو عبدالله محمد بن علي بن أبي رمانة^(٦٨)

ومهم قاضي المدينة الشيخ/ أبو المطراف بن عميرة^(٦٩)

ومهم الشيخ/ الصالح أبو العباس أحمد بن عائش. المنسوب إليه المسجد المعروف بهذه المدينة^(٧٠).

ومهم الفقيه/ أبو موسى عمران الحناني^(٧١)

ومهم الشيخ/ أبو محمد عبدالله بن حمد^(٧٢).

وغير هؤلاء كثيرون ممن طارت لهم شهرة في العلم والأدب. قد احتوتهم مدينة مكناس على مر عصورها الإسلامية، وشروا علومهم وآدابهم بين ربوع المغرب والأندلس وأفريقية يومئذ، ومارال الكثير من نرائهم تعممه المكتبات العربية في مختلف القون ١٠، ولو تبعنا من كان فيها (مكناس) من الأعيان والسادات ما طمعا بالإحاطة بعشر عشره، وقد كنت أردت أن أجمع من أمكن مهم مرتين على حروف المعجم، فجمعت مهم خمسة صلحة، ثم حمدت القرحة عن ذلك، وجمدت الطيمة، وهافت العرائق، وشط المزار^(٧٣).

وصفها عند بعض الأدباء

يصف لسان الدين بن الخطيب مدينة مكناس، حينما عرج عليها في أثناء مقامه أخيراً بالمغرب وحيث انتهى بالأفاصل من علائها الأجلال، وذلك في كتاب «معاصاة الحراب، وعلااة الاعتراب، فيس بني من الأصحاب» قال: وأطلت مدينة مكناسة لي مطهر الحد، رافلة في حلة الدوح، مستمة عن شب أنباه العدة، ساهرة عن أجمل المرأى قد أحكم وضعها الذي أخرج المرعا، قيد البصر وقدنكة الحس، فتزل بها منزلأ لا تستطيع العين أن تحفظه حسأ ووصعأ، من بلد دبرت به انداشر امغلة، والتمت سورة الرباين القيدة، وراق محارجه لسلطان المستحسن الذي يسو إليه الطرف، ورحب

— هراكهها، ولا سبأ الرمان، وحفظ — أنفاتها — الاحتران ولطعت في الأولاني والكيران، واعتدل — للجسوم — الوزن.

ودنا — من الحصرة — جوارها، فكثر فسادها من التفصلا وزاورها، وبها المدارس وانقهرها،
ولقصتها الأبهة والإباء، والمقاصير والأبهاء^(١٧).

ويظم فيها لسان الدين كذلك شعراً، يقول^(١٨)

بالحسن من مكناسة الزيتون	قد صح علو الناظر للفتون
لفضل الهواء وصحة الماء الذي	يجري بها وسلامسة الغزون
سحت عليها كل عين ثرة	للمزن هامة الخيام هتون
فاحمر عند الورد بين أبطاح	والنر ثمر الزهر فوق حصون
ولقد كفاها شاهداً مها ادعت	قصب السباق القرب من زهون
جبل تصاحكت البروق بحوره	فبكت عذاب عيونه بعيون
وكأما هو بربري والفد	في لوحه والسي والزيتون
حيث من بلد خصيب أرضه	مشوى أمان أو مناخ أمون
وضعت عليك من الإله عناية	تكسوك ثوبي أمنة وسكون

•••

الهوامش:

(١) يقع عدد مكدي حسب الإحصاء الرسمي عام ١٩٧٨ م - ١٩٨٠ م ألف سنة

(٢) أما الفار البيضاء فيبلغ عدد سكانها ٢,٢٦٣,٨٠٠ مليون سنة

(٣) وأما الرباط فتبلغها ٨٢٩,٧٠٠ ألف سنة

(٤) يقع عدد سكان مراكش في الإحصاء المذكور ١,١٩٩,٦٠٠ مليون سنة

(٥) أما فاس فيبلغ عدد سكانها ٧٢١,٦٠٠ ألف سنة. عثر في هذه الإحصاءات على الأمن الوطني بمرور (١٢١) نظام ١٩٨٠ م)

(٦) سبب إلى السطاح الورق اصطناعي، الذي جعل من مكدي عاصمة للمغرب (١٩٧٣ - ١٩٧٦ م)

(٧) أضخم الزوايا الأثرية بمراب في المغرب، ترتكز على احصاء ممرية متوسطة الطول، شرع في إنشائها إلى قصر الورق اصطناعي، وتم بناؤها في عهد محمد مولاي عباد عام ١٧٣٣ م، وتحت البوابة إلى المصوّر الصلح، أحد المراتب المشهورين في العصر الإسماعيلي

(٨) يذكر الأثريون في المغرب أن هذه الأحصاء القصيرة قد جلبت من الآثار رومانية في مدينة ولين وهي من عدد حوالي ٣٠ كيلومتر شاطئ غرب مكناس

- (٩) ابن خازي المكناشي في الروض الفتوة ص ١ - ٢.
- (١٠) يفصل هذا الوادي بين المدينة القديمة وبين المدينة الجديدة، ويعرف حالياً بعدة أسماء حسب الأماكن التي يجتازها في مسيرته، منها مهادي معروف، وهأيو فكرانة، وهدردورة. أما السبع فن عاز يعرف بخار الريح يحمل بوزكو، أحد جبال قبائل بني مطير.
- (١١) تعدد الإشارة إلى أن السهول المكناشية تضم الآن قرابة مليون شجرة زيتون و ٢٥٠٠ ألف شجرة فاكهة، وبذلكه أعظم معدل لشجرة الزيتون وأثريت بالقرب.
- (١٢) أحد الأبواب الواقعة غرب المدينة، ويعرف بهذا الاسم منذ ذلك التاريخ حتى اليوم نظر: هامش الروض الفتوة ص: ٢٧.
- (١٣) بنو غنجوم فقط من قبيلة براوة الزناتية، كانوا يقطنون جهة تاذلة في القرن الخامس الهجري وإليهم ينسب الشاعر القرني أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي الضجوي المصدر السابق، ص: ٩٠.
- (١٤) يعرف حتى اليوم بهذا الاسم، وهو يفصل بين هضبة حمرية عن سهل سايس.
- (١٥) د. حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين ص ٣٩٦ - ٣٩٧.
- (١٦) ابن خلدون والعبره ج٢ ص ١٨٤.
- (١٧) الاستبصار في عجائب الأصهار - ص: ١٨٧.
- (١٨) راجع: ابن خازي المكناشي في الروض الفتوة حيث يذكر في ص ٢٢٨ ... وجاءت النقطة القديمة يعرف هذا العهد بمجامع التجارين.
- (١٩) النظر: بنظم الجياد ط، تطوان، ص: ١١٧.
- (٢٠) يذكر صاحب كتاب تاريخ الأندلس، القزح الأثالي يوسف ألباخ، ترجمة عبدالله حنان يابلي في صدد التنظيم العسكري ليوسف بن تاشفين... وأشأ، - على مثل هذا الخط حراً خاصاً من الأندلسيين يتألف من جانب من النصارى المعادين الذي يحتم عليهم اعتناق الإسلام... وكان علي بن يوسف أول أمير مرابطي اختار حرمه الخاص من بين النصارى، ج٢ ص ٢٣٦ كما يورد صاحب الملل والنوبة، ما يؤيد النص السابق خاصاً بعل المرابطي - إذ يقول وهو أول من استعمل الروم بالغرب يعني الفتيان الأسبان) وأركبهم وقسمهم على جباية المغارم ص ٦١ - ٦٢.
- (٢١) هناك رسالة صادرة من العادل علي المرابطي إلى القاضي أبي القاسم بن ورد والقضاة المستشارين بمرنطة: أوردتها الوثائق في «المغار» ج٢ ص ٣٩ وردت بها هذه الفقرة وقد خاطبنا النصارى المعادين للفقراء من الشيبلة: الحاصلون بمكناشة الزيتون، حرسها الله مؤرخاً ذلك الجواب بعام ٥٢١ هـ وهو تاريخ مطابقة تلك الأحداث لتلكه عنها.
- (٢٢) انظر «هجرة المشايخ» تحت عنوان «وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية» ص ٥٢.
- (٢٣) ينسب المسجد إلى حي باحواز مكناش كانت تسكنه قبيلة تامل هذا الاسم راجع الأستاذ/ محمد التوني في مجلة «الثقافة القرية» عدد ٧ (١٩٧٢م) ص ٤٨.
- (٢٤) هكذا ورد ذكر اسمه في الوثائق المكناشية القديمة، ويصحب التمكن بسبب تلك التسمية.
- (٢٥) المصدر السابق، ص: ٢٤.
- (٢٦) روض القرطاس، ط قاس، ص ٩٧ - ٩٨.
- (٢٧) روض القرطاس، ص: ٩٥ - ٩٦.
- (٢٨) الروض الفتوة، ص: ١٩.
- (٢٩) المصدر السابق ج٢ ص: ٩٢.
- (٣٠) نفس المصدر، ج٢ ص: ٢٢٥.
- (٣١) جذوة الاقباس، طرف، ص ٢٧ وفيما يفصل بمادة بالقروجة نظر: مجلة الأندلس ج٢ ص ٧٩.
- (٣٢) إتحاف أعلام الناس، ج٢ ص: ٩٢.
- (٣٣) الروض الفتوة، ص ٢٧ - ٢٨.

- (٣٤) إتحاف أعلام الناس، ج١، ص: ٢٢٤ - ٢٢٥.
- (٣٥) الروض المختون، ص: ١٤ - ١٥، ومازالت آثار هذه القايمة متمكنة حتى يومنا هذا عن بين آثار من باب البرافعين لفرص مولاي عبدالقادر بن أحمد، وعن مسار الداهب لآب تزي، نفس المصدر المذكور، ص: ١٦ (٣) المصدر السابق ص: ١٦ - ١٨.
- (٣٦) نفس المصدر، ص: ٢٣.
- (٣٧) المصدر السابق، ص: ٢٤.
- (٣٨) نفس المصدر، ص: ٢٥.
- (٣٩) مجلة الثقافة المغربية، عدد ٧ (١٩٧٢م) ص: ٣٠.
- (٤٠) إتحاف أعلام الناس، ج١، ص: ١٧٢.
- (٤١) لقد اندثرت بناية هذا الملام الآن تماماً، وأقيمت على أنقاضه مبان حديثة انظر للمصدر السابق ج١، ص: ١١٢.
- (٤٢) الروض المختون، ص: ٢٥، وسبب ذكر اسمه «الأمير جوثالث» ابن أخت القونش تريبل مكانة يومئذ.
- (٤٣) نفس المصدر، ص: ٢٦.
- (٤٤) نفس المصدر، ص: ٣٤.
- (٤٥) إتحاف أعلام الناس، ج١، ص: ٩٩.
- (٤٦) المصدر السابق، وتبلغ مساحه مكانس اليوم حوالي ٨٥ مسجداً، منها ١٥ مسجداً تقام بها الجمعة.
- (٤٧) المعجب، ص: ٢٢٥.
- (٤٨) لفتبس من كتاب الأساطير، في معرفة الأصحاب، ص: ٤٧، ٥٤.
- (٤٩) المراكش في المعجب، ص: ٣٢٢.
- (٥٠) إحدى النقول التي حكمت الغرب أثر تعليم علي الموحدين، وقد دام حكمهم من عام ٦٦٩هـ حتى ٨٨٦٩هـ، ثم نهض في أعقاب المرتين أحمد فروجههم وهم (الوحاسيون)، فسلطوا زمام الأمور حتى عام ٩٥٤هـ.
- (٥١) الروض المختون - نقلاً عن «الغريب» - ص: ٣٣.
- (٥٢) تعرف حالياً باسم «المدرسة القبلالية».
- (٥٣) راجع: «سفرة الأندلس» حيث ترجمه هذا القاضي حمزة بمصادرها ج٣، ص: ٢٥٩ - ٢٦٠.
- (٥٤) كانت تقع براس ضفة الزبادين، وقد زالت آثارها، وبني حالياً مكانها قصر عظيم.
- (٥٥) لقد صارت الآن مرفأً للثوالب على مسار الداخل للغرب سيدي غريب.
- (٥٦) مازالت هذه المدرسة قائمة حتى اليوم، وتعرف اليوم بمدرسة السطارين.
- (٥٧) الروض المختون، ص: ٣٦ - ٣٧.
- (٥٨) هو الوزير أبو زكريا يحيى بن زيان الوحاسي، وزير السلطان عبد الحق المغربي (الفاول غدرأ عام ٨٨٦٢هـ) انظر: جيلولة الأندلس، ص: ٣٣٦ - ٣٣٧.
- (٥٩) انظر مجلة «البحث العلمي» الصادرة عن جامعة محمد الخامس بالرباط: عدد ١١، ١٢ مزدوج، ص: ١٨١ - ١٨٢ (فاس الجديد متر لحكم المغربي) للأستاذ محمد اللواتي.
- (٦٠) تبلغ مساحة هذا المرفأ ٤٠٠ متر طولاً، ١٠٠ متر عرضاً، ٤ أمتار عمقاً.
- (٦١) مجلة العربي الصادرة في الكويت (العدد: ٧ - ١٩٧٢م).
- (٦٢) انظر: إتحاف أعلام الناس - لابن زيدان، ج٣، ص: ٥٨١، وكذا: الروض المختون لابن غازي، ص: ٤٤.
- (٦٣) انظر: إتحاف أعلام الناس، ج٤، ص: ٥١٧، والروض المختون، ص: ٤٤.
- (٦٤) إتحاف أعلام الناس ج٣، ص: ٢١.

- (٦٥) المصدر السابق، ج ١ ص ٣٢٢، وثق الطيب، ج ٧ ص ٢٧٢ والروض الفتون، ص ٤٦ - ٤٩.
- (٦٦) انظر: الروض الفتون ص ٥٠ - ٥٢، تلح الطيب ص: ٧٠، ٧٢، إتحاف أعلام الناس ج ٣ ص ٣٠٨.
- (٦٧) انظر: الإحاطة، لابن الخطيب ج ١ ص ١٧٩، إتحاف أعلام الناس ج ١ ص ٢٩٨.
- (٦٨) انظر: إتحاف أعلام الناس، ج ١ ص ٣٠٤.
- (٦٩) المصدر السابق، ج ١ ص ٥٠٣.
- (٧٠) المصدر السابق، ج ١ ص ٤٩٨.
- (٧١) الروض الفتون، ص: ٦٨.
- (٧٢) انظر: الروض الفتون، ص ٦٩.
- (٧٣) انظر: معيار الاختيار، تحقيق د. محمد كمال شحاتة، ص ١٦٥، ١٧٢.
- (٧٤) انظر: الروض الفتون، ص ٧١.
- (٧٥) انظر: الروض الفتون، ص ٥ - ٦.

مصادر البحث

- ١ - العبر لابن عطلون (بوقلاص ١٢٨٤هـ).
- ٢ - الروض الفتون، في أخبار مكتبة الزيتون.
لأبي عبد الله محمد بن غازي العثاني.
(المطبعة الملكية - الرباط ١٩٦٤م).
- ٣ - إتحاف أعلام الناس، بحال أخبار حاضرة مكناص، لعبد الرحمن بن زيدان العلوي.
- ٤ - جغرافية المدن المغربية للدكتور/ إحسان عوض.
(مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي - الرباط ١٩٦٤م).
- ٥ - معيار الاختيار، في ذكر المعاهد والديار لابن الخطيب السلمي.
تحقيق الدكتور/ محمد كمال شحاتة.
(طبع وزارة الأوقاف المغربية - الرباط ١٩٧٦م).
- ٦ - المغرب عبر التاريخ للدكتور/ إبراهيم حركات.
(نشر دار الرشاد - الدار البيضاء بالمغرب ١٩٧٨م).
- ٧ - قيام دولة المرابطين - للدكتور/ حسن أحمد محمود.
(نشر مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٥٧م).
- ٨ - الأنيس المطرب بروض القرطاس (ط.ف عام ١٣٠٥هـ) لابن أبي زرع.

- ٩ - الاستبصار في عجائب الأمصار.
- ١٠ - الإسلام في المغرب والأندلس.
- ليني بروفنسال (الترجمة العربية/ سلسلة الألف كتاب رقم ٨٩ - بالقاهرة) ١٩٥٦م.
- ١١ - نزهة المشتاق - للإدرسي (لندن ١٨٦٦م).
- ١٢ - جلوة الاقتباس - لابن القاضي.

الدوريات

- ١ - الثقافة المغربية (العدد ٧ - ١٩٧٢م).
- الصادرة عن وزارة الثقافة - الرباط.
- ٢ - مجلة العربي (العدد ١١٥ يوليو ١٩٦٨م).
- الصادر عن وزارة الثقافة والإعلام الكويتية.
- ٣ - الأمن الوطني (العدد: ١٢١ جمادى الأولى والثانية ١٤٠٠هـ).
- الصادرة عن وزارة الداخلية - الرباط.
- ٤ - مجلة البحث العلمي - الصادرة عن المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط
- عدد (١١، ١٢ مزدوج).

• باب للنصير الطنج بمكناس •

